الكرملي في قبضة الحق

للأستاذ سعيد الأفغاني

١ — كان الأب أنستاس مارى الكرملي قد تعرّض لتصحيح بعض الخطأ في كتاب الإتباع والمؤانسة الذى صححه الأستاذان أحمد أمين وأحمد الزين ولم يشركا الأب في التصحيح ولا الربح . وكان في جملة ما خطأ : قول القائل : « ويجعلها (أى الأحجار) ملساء » فقال حضرته مصححاً : « والصواب مُلْسًا بضم الميم ... الخ » فصححنا له فهمه في العدد (٤٧٩) من « الرسالة » ، وكان قد استند إلى كلام لسيبويه فأوضحنا له — برفق وعطف — أن كلام سيبويه ليس فيه ما زعم حضرته . ثم شرحنا له القاعدة العامة (التى اعترف بصحتها واطرادها) في العدد (٤٨٦) من هذه المجلة . وقلنا له : « إن نعت جمع التكسير يكون بالمفرد والمؤنث وبالجمع على السواء ، فلك أن تقول : أشهر محرمة وأشهر محرمات ، و « أياماً معدودة » و « أياماً معدودات » كما في القرآن الكريم وغيره ، فما الذى يفرد صيغة واحدة بين جميع صيغ النعت بحكم خاص ؟ هذا ما يحوج الأب الإبراء[1] عليه . أما استقراؤه الشخصي وطلبه من يخالفه الإتيان بشاهد فلا يردان حجة ، لأن المقيس لا يلزم له شاهد »

فلما ألجأه الحق إلى أضيق من جحر الضب ، انبرى يرد علينا وعلى غيرنا ممن صححوا له تهافته في ثلاث مقالات طوال ، نسى فيها الموضوع والزمان ، وخلت من شيء واحد هو المطلوب كله وهو مدار البحث وحده ، فلم يأتنا بالنص المطلوب ولن يأتينا به ولو دخل بعضه في بعض غيظاً وكمداً

فعلى هذا يبقى قولهم : (صخور ملساء وكريات بيضاء) مما لا يجوز لصحيح الفهم أن يخطئه . وإن مما يعلمه بالضرورة من له أدنى إلمام بلغة العرب أن الموافق للقاعدة المطردة غير محتاج إلى شاهد وكل جائز له شاهد مدون

٢ — وقال حضرته : (ومن الأغلاط الشائعة في مصر وتستحق أن يشار إليها إشارة خصوصية (كذا) ما يأتى : ص ٢٣ س ١٨ أصواب هو أم خطأ ... أم خطاء وزان سحاب لضد الصواب على ما في كتب اللغة) اهـ

وهذا زعم غير صحيح ؛ وقد نقلت له من الكتب نصوصاً لفقت كل ما أفك ، وأفهمته أن الخطأ هنا هو الأفصح والأشهر . والغريب المضحك حقاً أن يحتج الأب بما هو حجة عليه واضحة وهو الكلام الذى نشرته الرسالة لأبي هلال العسكرى وفيه (أن الخطأ هو أن تقصد الشيء فتصيب غيره ... والخطاء تعمد الخطأ) . وبعد أن عاب هذا الأب سيبويه والخليل . . . أنكر علينا احتجاجنا بمؤلف الصحاح ، وذكر أن العسكرى أعلى منه مقاماً !! فيا أيها الأب إن الجوهرى والعسكرى متفقان ولكنك لم تدرك لا كلام الجوهرى ولا كلام العسكرى . والبلاء الأكبر في أن يأتى متحذلق في آخر الزمان يوازن بين إمامين ثم لا يستطيع أن يفهم كلامهما

أما بعد أيها الأب أنستاس مارى الكرملي ، إن فيما نسبت قوله إلى ما هو كذب وافتراء . فأنا لم أقل : سيبويه غير موثوق به . ولم أقل : نص جمع التكسير ، وإنما قلت : نعت جمع التكسير . ولم أقل ... ولم أقل ... مما يعلم بيانه القارئ

فإذا كان هذا شأنك مع من يملك أن يدفع عن نفسه ، فكيف تثق بما تنقل عن أولئك الأئمة الساكنين الناعمين في عالم الخلود ؟

وأدهى من ذلك أنك كنت ادعيت أنه لا يقال خطأ بل خطاء وامتلأت زهواً إذ زعمت أن هذا غلط شائع في مصر ، فلما بينا لك أنك أنت المخطئ ، توارت خجلاً ثم انبريت تدعى أنما أردت أن خطاء أحسن من خطأ موازنة لصواب ؛ وبين كلمتك الأولى المنشورة في العدد (٤٧٥) من الرسالة ، والثانية المنشورة في العدد (٤٨٧) مدى قليل جداً ، فما أسرع ما يفضح الباطل والادعاء الأجوف صاحبهما ! وأمر آخر : متى عهدك ، عافاك الله ، بالذوق الموسيقى ؟ أحين احتشدت فلم تجد أحلى وقعاً من (ليس المزكزك بأنيثهن) فإن يكن لك — وأنت عجوز — عذر من هرمك ومرض أذنك فاعلم أن الله لم يخلق رجلاً صحيح الذوق

(١) علق الأب على هذه الكلمة جملة ناقض آخرها أولها ، وكذلك هو في كل تعقباته و (كذكذاته) و(لطماته)